هـــذا العالم المتغير

كثرة الأكل قد تسبب السرطان

للأستاذ فوزى الشتوى

منذ ٣٠٠٠ عام :

يفتك مرض السرطان بستين فى المائة من ضحاياه فى أرقى الأمم التى تهتم بعلاجه ودراسته . أما فى مصر فلا يعرف عدد المصابين به إلا الله . فإن لم يكن الطبيب على شىء من البراعة فربما اعتبره نوعاً من الأورام. تستطيع أن تتعقب المرض إلى ٣٠٠٠ سنة ، ومع ذلك فما يقال عنه ضرب من الفروض والتخمينات ، برغم مايبذل من المال لدراسته ، وبرغم الإخصائيين الذين وقفوا حياتهم وخبرتهم لكشف سره

فإن أردت أن تعرف مدى سير غور العلم لطلاسمه ، فلست أجد أوفق مما كتب الدكتور هارولد رش مدير معهد أبحاث السرطان فى إحدى كليات الطب بأمريكا حين قال : « ليس لدينا علاج محقق للسرطان . وليس فى جعبتنا واحد يفكر فى تنفيذه وإن كنا نتوق إلى ما يضيء لنا الطريق ، وكل عملنا يتجه إلى دراسة المظاهر الأساسية والعوامل التى يحتمل أن تغير مجراه »

« ومع هذا فقد ظفر بتقدم واسع شامل ، فعرفنا عدة وسائل لإحداث السرطان فى المعمل فى أى وقت نشاء ، وعرفنا أيضاً بعض التحولات التى تطرأ على أنسجة الجسم العادية حين تصاب بالسرطان »

بيرأ كرأسى الديوس

وليس معنى هذا أن الطب يقف أمامه مكتوف اليدين، فأربعين فى المائة من مرضاه تعالج بالعمليات الجراحية وبأشعة إكس وبالراديوم وبغير هذه العلاجات يقضى بالموت على كل المصابين به ، فهو ذلك المرض الغريب الذى يبدأ بورم صغير كرأس الديوس ، ثم ينمو

ويقيمون فى وقتنا الحاضر لنظارة بنى عامر . ويوجد من بقايا البجة أقليات فى قبائل عرب البشاريين والأمرار والهدندوة والحباب ، وهم معروفون لتلك القبائل

ويتكلم عرب البشاريين[1] والأمرآر[2] والهدندوة[3] والحلنقة[4] بلغة البجة[5] بتأثير البيئة ، لأنه لما نزل فى إقليم البجة العرب الذين تكونت منهم تلك القبائل ، اضطرت بحكم الجوار والإقامة بين البجة لمخالطتها فى جميع سبل الحياة ، وزد على ذلك أنهم كانوا يتزوجون من البجة فينشأ أولادهم وبناتهم على لغة أمهاتهم ، فتغلبت البجاوية مع مرور الزمن على العربية كما تغلبت اللغة النوبية على العرب والترك الذين أقاموا بجهات دنقلة وشمالها. وتتكلم قبيلتى بنى عامر[1] والحباب[2] بلغة يسمونها الخاساويه ، وهى خليط من لغة التقرى الحبشية واللغة العربية . ولم يبق لهذه القبائل العربية الأصل ما تختلف فيه عن قبائل البجة إلا العادات ، ولذلك يحسبهم بعض المستشرقين والكتاب بجاة لتكلمهم بلغة البجة وإقامتهم فى إقليمهم . وهذا خطأ لا ينتبه إليه إلا من يتصل بهم ويجتمع بمن له معرفة منهم بحوادث قبيلته التاريخية ولا تخلو قبيلة من هؤلاء

ولا يفوتنا أننا لم ندل بمعلوماتنا هذه إلا إظهاراً للحقيقة ، فالناس كلهم سواء ، وإن التفضيل بينهم بالفضل والتقديم بالفعل: « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(بربر بالسودان) حسين احمد حسين خليفة العبادى

---

(١) يرجع نسب قبيلة البشاريين إلى محمد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام .

(٢) يرجع نسب قبيلة الأمرآر إلى محمد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام ويرجع نسب بعضهم إلى العبد لاب القواسمة .

(٣) يرجع نسب قبيلة الهدندوة إلى بنى العباس وأبى بكر الصديق والتكارنة .

(٤) ويرجع نسب قبيلة الحلنقة إلى قبيلة هوازن .

(٥) من القبائل العربية التى أثرت فيها البيئة وأصبحت تتكلم بلغة البجة قبيلة الأرتيقة وهم من عرب حضرموت . وقبيلة الكبلاب وهم من بنى مصعب بن الزبير . وقبيلة الدقنى وهم من بنى العباس وبعض الأشراف الذين يقيمون فى شرق السودان والصحراء الشرقية

(١) يرجع نسب قبيلة بنى عامر إلى الجلبين وأبى بكر الصديق وهذه القبيلة تضم الكثير من البجة.

(٢) يرجع نسب قبيلة الحباب إلى أبى لهب

ويتشعب وينتشر حتى يفسد الجسم كله . ويتفق الأطباء والجراحون على أنه كلما بكر المريض بعلاجه كان النجاح أكثر ضماناً

أما سر التبكير فى العلاج فيرجع غالباً إلى طبيعة المرض الذى يتكون من خلايا حية تختلف عن الخلايا العادية فى أنها حرة طليقة لا يحد من نموها أى ضغط . وعندما توجد خلية سرطان فى جسم الإنسان أو الحيوان فإنها تنقسم وتتوالد فى سرعة فائقة لا تحدها أية عقبة . فإن كثر عدد الخلايا وكبر حجمها انقسمت وسبحت شظاياها فى جسم العائل لتكون كل منها مستعمرتها الخاصة ، وعندئذ يتعذر على الطبيب إجراء العلاج

فما هى الخلية السرطانية ؟

سؤال يعزعلى العلم الجواب عنه ، وكل ما يقول إنها أصغر من أن يراها المجهر . ويواصل العلم جهوده ليعرف هذه النكبة التى لا يراها المجهر ، وليدرك كيف تتكون فى الجسم

وتنقسم دراسة السرطان فى إحدى الهيئات التى وقفت جهودها ومالها على إزاحة الغطاء عنه إلى ثلاث شعب :

أولا : تأثير الغذاء على السرطان فى نموه أو عرقلته

وثانياً : تأثير التهيج المزمن على تكوين السرطان

ثالثاً : خواص الخلية السرطانية

وفى عام ١٩٤٠ بدأ العلماء يدرسون الصلة بين التغذية وتكوين الخلايا السرطانية على الفيران ، فلاحظوا ظهور أورامها فى حالات كثيرة فى الفيران التى يحتوى غذاؤها على نسبة كبيرة من الدهن

ولكى يحددوا بالضبط تأثير التغذية على قابلية الفيران للاصابة بالمرض أحضر العلماء بضع مئات من الفيران وقسموها إلى فريقين فيعطى الفريق الأول غذاء يولد نسبة مرتفعة من الوحدات الحرارية (يتحول كل غذاء يتناوله الكائن الحى إلى وحدات حرارية هى فى الواقع الوقود الذى يسير أجهزته وتختلف القيمة الحرارية باختلاف ألوان الطعام)

هذا النهم :

ويعطى الفريق الثانى وجبات غذائية مماثلة لوجبات النوع الأول ، ولكن كميتها الحرارية تبلغ ثلثى وجبات الفريق الأول . وكان الفريقان يعرضان للأشعة فوق البنفسجية للاسراع فى تكوين الخلايا السرطانية وتحديد مؤثراتها

وبعد تسعة شهور من التجارب أجرى الكشف الطبى على الفيران ، فوجدت الأورام السرطانية منتشرة فى الفريق الأول بنسبة ٨٦٪ ووجدت فى الفريق الثانى بنسبة ٧٪ فقط

ويقول الدكتور روش إن هذه النتيجة تتفق مع أبحاث الهيئات الأخرى ، إذ ظهرت الإصابات السرطانية فى صدر الفيران التى تتغذى بكميات مطلقة بنسبة ٦٧٪ ، ولكنها لم تظهر بتاتاً فى الفيران المحدودة الوحدات الحرارية فى الغذاء .

ويعلل هذه النتيجة بقوله : « عند ما يحتفظ الجسم بمستوى مرتفع من الغذاء ، فإنه يتيح الفرصة للخلايا السرطانية الكامنة لكى تظهر وتنمو ، بخلاف حالات قلة الغذاء التى تعد غير مناسبة لبدء حالة التورم السرطانى ولا تعطيها الفرصة لكى تبدأ عملها ، وبمجرد ظهور الخلايا السرطانية وبدئها عملها ، فإن قلة الغذاء أو كثرته تكون عديمة القيمة ولا تحد من نشاطها وتكاثرها » .

ولا يدل نجاح هذه التجارب على الفيران أنها ستؤدى إلى ذات النتيجة فى الإنسان ، ولكن الدكتور روش يرى ما يؤيد هذه النظرية فى ارتفاع نسبة إصابة الإنسان بالسرطان فى المتلطق الوافرة التغذية وبين الأشخاص الثقيلى الوزن والأكولين

تأثير الفيتامينات

وتجرى الآن التجارب لمعرفة تأثير الفيتامينات من حيث القلة والكثرة على الخلايا السرطانية . كما يجرون تجارب التهيج المزمن ، ويفحصون تأثيره على ظهور عوارض هذا المرض . والمعروف أنه توجد علاقة بين تكوين الخلايا السرطانية وبين التهيج

ودلت التجارب الأخيرة على أن التهيج لا يؤدى إلى إحداث السرطان إلا إذا حدث فى المناطق التى تحتوى على خلايا سرطانية كامنة

ويفهم من التجارب التى أجريت على السرطان أن عدة عوامل متباينة تلعب دورها فى نشوئه ؛ فالنهم وحده لا يسببه ، ولكن هناك أفراد لديهم استعداد للاصابة به . وهو كامن فيهم سواء بالوراثة أو بعوامل أخرى لا تزال مجهولة ، والإكثار من الأكل عند أولئك الناس يعطى المرض فرصة الظهور

تثبيت المرصد

والخلاصة التى وصل إليها الباحثون فى الكشف عن أسرار هذا المرض الخبيث أنه يحتاج إلى عدة عوامل متباينة متآزرة ، تعمل كلها فى وقت واحد ، فالنهم يجب أن يصحبه الاستعداد للمرض . والتهيج يجب أن يحدث فى أجزاء بها خلايا كامنة ،